

ليلي العفيفة

للمرحوم الأستاذ محمد عبد المطلب

... لعل أسمى مراتب العظمة الانسانية في الحياة الدنيا هي تلك الكلمة الصغيرة التي تفتي الأجيال وهي باقية ، وتغلب الأزمنة وهي ثابتة ، وتخفت الكواكب والأقمار وهي متلاثلة متوهجة ، والتي أسميها ؛ ويسمها الناس من « .. الخلود .. » !!

نعم .. إن أعظم مافي الحياة الدنيا وأبقى ما فيها من خير هو الخلود من غير شك .. وإذا قلنا إن الخلود هو أوسع مافي الحياة من مجال وروعة ، فلأننا نريد أن نقول أيضاً إنه صعب المنال عسر الإدراك . لا يشتري إلا بأعز مافي النفس البشرية ، وأعلى ما فيها .. وهي الحياة .. فمن ضحى بحياته ، أو كان على استعداد لتضحيها في سبيل سعادة غيره ورفاهيته ورفع الظلم عنه نال الخلود لأنه أناله لغيره ، أو حاول أن ينيله إياه - إن قصر أجله عن إتمام ذلك -

ومن ضحى بوقته وراحته في سبيل تنقيف الغير وتعليمهم ، وتهذيبهم ونشر نور العلم بينهم ، لن يفتي وإن فنى جسمه ، ولن يُنسى وإن اختفى شخصه ، ورجع الى الأرض التي منها نشأ وعليها تربي .

أن تخرج خلقاً جديداً لا مجرد تكرار ، وتتمكن لنا من اليابان عبرة إننا لنصن إلى ما يقوله الغربيون من أن مدينة الشرق ليست إلا فلسفة لاهوت ، فإن الأصم يرى في اللب على (البيانو) حركات أصابع مجردة عن نغم الموسيقى ، وهم لا يعرفون إننا قد بنينا تقاليدنا على أساس من الحقائق التي تحفل الطائفة والسلوة في قلب الانسان ، والتي تجعل وجدانه دائم اليقظة والحياة .

لقد اجبت الشمس المشرقة العالم فكانت الأولى في الشرق وهذا السبيل ، ولقد أشعلت الأمل في فؤاد الشرق فحق عليه أن يذم لها التناء ، ومن يدري فقد يكون هذا بشيراً بأن يم التوراة هذا للكان التي بزغت فيه شمس الآدمية لأول مرة .

محمد مختار المحامى

فالحياة والذكري ليستا وفقاً على الجسوم الحية المتحركة .. وإنما هي رهينة تلك الأعمال الجليلة التي أداها أصحابها ، وعلى تلك الخدمات الصادقة التي بذلوا في سبيلها راحتهم وشبابهم ، والتي لن تفتي حتى يفنى الفناء ، ولن تزول حتى تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات .

فكم من حى لا تعرفه إلا نفسه ، وكم من ميت بلى عظمه وفي جسمه ، ومع كل فهو يعلأ القلوب بحبته ، وعلأ الدنيا بذكركه واسمه .

ومن هؤلاء الخالدين المرحوم الأستاذ « محمد عبد المطلب » الذي تعرفون عنه أكثر مما أعرف ، وتقدرون أعماله الجليلة كما أقدر ، وتؤمنون ببيقرته الفذة كما أؤمن ، وتعرفون بشاعريته الخصب السامية كما أعترف ، وتفخرون بدرجة اللامعة - التي حل بها جيد الريية - كما أنفر .

لهذا فاني أعتقد أنكم تودون أن تقرأوا له شيئاً لتمتوا أنفسكم بحجر هذا الشاعر البدوي الذي سيدهشكم الآن بأسلوبه الحضري الرقيق ، وبثفكيره المصري الذي يُمجزه عنه ونحن فيه . وقبل أن أعرض للأستاذ المرحوم شيئاً أود أن أقول : إنه كان من أسبق الشعراء الى تأليف الروايات ، فله في دار الكتب من عشرين سنة مضت روايتا « المهلهل » و « امرئ القيس » وله أيضاً عدة روايات وضعا للمدرسة السعيدية وقت أن كان مدرسا بها :

وكان المرحوم شعر بحاجة المسرح المصري الى روايات عربية سليمة التفكير رقيقة التعبير ، فوضع له في سنة ١٩٠٩ رواية « ليلي العفيفة » ، ولكن حظ المسرح التمس حال دون ذلك .. لأن الأستاذ لكثرة أعماله في مدرستي دار العلوم والقضاء الشرعي لم يستطع إتمام القصة ، وحاول في أواخر أيامه أن يتمها ولكن الموت القاسي عاجله ، فغرنا من تراث أدبي نافع . على أننا سنعرض الجزء الذي كُتِب من « ليلي العفيفة » بنت لكثير ، وهي التي حاربها الزمن على يد أبيها بضع سنوات ، فأذاقها مر الحياة وشقاء العيش ، وذل الأسر .. ولكن الله جلت قدرته أنالها سعادتها مغنافة ، ورد عليها فتى قلبها وبطل أحلامها جزاء وقتها وإخلاصها ..

يجود كالنيت علينا غداً إذا بناصرف الليالي أحداً
كليب :

لكنه ليس من البراق أحق بالطاهرة النطاق
نقية الأعراض والأعراق وهو في الجيش لدى التلاق
وما لبكر غيره من واق إذ تأخذ الخلوب بالنطاق
وتلب الأرواح بالتراق في يوم هول مظم الآفاق
حتى إذا يس كليب هدده بقوله :

ياك يا ابن العم أن تجيبا فان فيه اللوم والثأنيا
وإن ليلى - إن تكن أريبا - تأتي سوى ابن عمها خطيبا
وهو وإن كان لها حبيباً فما أنت نكراً ولا عجباً
فلا يزال السيد الأريبا في قوسها والبطل الهيبا
يكفيهم البأساء والكروبا

فينضب لكيز من قول كليب ويستأسد قاتلاً :

ومحك ! هل ليلى ترد أمري بردها وقبول عمرو ؟
رضيت عمراً أن يكون صهري ما حجتى في رده ؟ ما عذرى ؟
أليس في منيه عين الندر ولو أبى البراق إلا هجرى ؟
فليجر في قطعتى ما يجرى

وقد أنصف كليب كل الأنصاف حيناً ذكره بأنه غدر بان
أخيه فقال له :

يا أبا ليلى كنى . فالحقوق . أنكرتها . ذلك الندر
وأحاديث الجفا . والعقوق . كرتها . حلوها من
غضب البراق . من لا يطلق . وله العندر

ولكن أرى لكيزاً يابه لهذا ويهتم به ؟ كلا وإنما يعن
في قسوته ، ويسترسل في شدته ، وبأبي إلا تنفيذ مارآه . ولو كان
مارآه هو الخطل بيته ، فاسمع الى ابنته ليلى وقد عرفت من
أمرها ما عرفته : فأخذت تشكو الى الله ظم أيها ، وتمدد
مناقب ابن عمها ، وتبته لواعج غرابها . ثم تخرج على خطيبها
المكروه فتعني من الله أن يقبض روحها قبل أن ترف اليه ،
فتواسيها صديقها سلمى فلا تستمع اليها ، ولا ترداد إلا أنيناً ،
والاحسرة على بعاد راقها

ليلى :

ولعل القارى يدعش من هذا ويعجب ، إذ كيف
بحارب رجل ابنته ويذيقها الألم المص ، ويعنع عنها سعادتها
ورفاهيتها . والمعروف أن الآباء يتسابقون الى جلب السعادة
لبنائهم ! ؟

ولعله لا يدعش ولا يعجب عند ما أقول له : حقاً إن الآباء
يفعلون هذا وأكثر من هذا ، ولكنهم في مسألة واحدة ، بل
وفي لحظة واحدة يهدمون حياة بنائهم ، ويسقونهم كأس الموت
مترعة ، ويقاومون شعورهم ، ويتجاهلون إحساسهم ، ويدفونهم
الى الهاوية باسم المحافظة عليهم . فترى الرجل منهم عند ما يعلم أن
ابنته تهوى إنساناً وتحميه ، وتود من صميمها أن يكون رجلها .
تراه في هذه اللحظة قد تنمر وركب رأسه الأخرق ، ووقف
بينها وبين من تحب رافضاً زواجهما ، آيماً جمعهما ؛ بل يزوجها
ممن يجب هو ويريد ، محتجاً بأنه أعرف منها بمصلحتها ! فتكون
الطامة ، وتكون النهاية السوداء في أغلب الأحيان ! .

وهذا ما حصل فعلاً مع ليلى بنت لكيز فانها كانت مخطوبة
لابن عمها البراق ، وكان الحب يجمعهما برابطة القدس . فرأى
لكيز بقله الأخرق ، وخماتته المجنونة أن يفسد هذه الخطبة ،
وأن يقبل خطبة عمرو بن ذى صهبان لابنته طمعاً في ماله
وشجاعته !.. فانظر اليه وقد زاره أحد بني كليب لينهاه عما فعل
حرصاً على البراق ورحمة بابنته التي تحبه وتهواه :

كليب :

كيز :

أرقتي شغل ليلى أرقا جمع من همى ما تفرقا
عمرو بن ذى صهبان لما حققا أن لها في الحسن جدا صدقا
وفي المال غاية لن تلحقا بادر في خطبتها مستبقا
كليب :

رام ابن ذى صهبان صعب المرتقى إن سمع البراق أو تحقبا
بأن عمراً باب ليلى طرقا أريد كاللث لنا وأرقا
وطبق الأرض علينا طبقا

لكيز :

لكن عمراً بالأيدى سبقا قلدا نعاء وطوقا

- رب ! كم تبلو وتمتحن
كما قلت انجلت عن
سلى :
- إن قلبي شفه الحزن
عاودتني بعدها عن
سلى :
- هل أتى عن ركنا نبأ
محزن، من بعد ما ظلمتوا؟
ليلي :
- لا ، ولكني أرى جلا
يا ابن عمي إن لي كبدًا
إنما البراق خير فتى
صده عن أبي سفها
وأن عمرو ليخطبني
ليتشمري ما الذي خبات
ليتنى يوم أذف له
سلى :
- عاجلا يسى به الزمن
قد براها بمدك الشجن
فيه بنت العم تفتتن
وأبى في رأيه أنف
فأذلتهم له المن
لى من أحداثها العين
يحتوي قبلة الكفن
سلى :
- إن في الأيام متبراً
والليالي يبعها غبن
اصبري ليلي ! ولا تهني
إن عزم الحر لا يهن
ليلي :
- ارحمي ياسلم والهمة
وارحمي البراق فهو بنا
وكا قلنا من قبل أن أرواح
الماشقين متجاوبة تشمر بشمور
واحد ، وتمس باحساس واحد وفي وقت واحد . فانتا نستطيع
أن نقول هنا إن براق أحس ما أحسته ليلي ، وشكا مما شكت
منه ، فقال لصديقه عقيل :
- براق :
- يا عقيل ، يا عقيل ، ما ترى الليل طويلا ؟
ما لنجم الليل لا يسنى عن الأفق أفولا ؟
عقيل :
- طال ليلي وهو أولى
بمد ليلي أن يطولا
براق :
- بالأسي قد عيل صبري
أي نعم ، صبرك عيلا
عقيل :
- يا ابن روحان رويدا
واصبر الصبر الجميلا
- براق :
- إن يحمل دوني فاني عن هواها لن أحولا
يرضى مثل ابن خدي صهبان من ليلي حليلا
إن ليلي يا عقيل لا ترى مني بديلا
ظلموني ظلموها أغضبوا السيف الصقيلا
أنا إن لم أسقى عمي باردي كأساويلا ...
فيخاف عقيل من هذا التهديد ويخشى عاقبته .. ويشفق
الكثير أن يقتله ابن أخيه فيقول لصديقه بعبث :
عقيل :
أو ترضى بئس ليلي ؟
فيستفيق براق حينما يسمع اسم ليلي ، وتأخذه عليها الشفقة
والرحمة ، ويخاف كرهاً إن هو نفذ تهديده .. فيكرر صديقه
الحديث قوله :
عقيل :
- أوترضى بئس ليلي ؟
براق :
- لا ولا ، حسي ذهولا
قطع السيف يميناً تترك العم قتيلا
والقتى من كان للأهلين مساحا وصولا
غير أن براق يرى أن من المستحيل عليه معاشره أهله ، وقد
حطموا قلبه وفتوا كبده فيقول :
غير أني لأرى عن أرضكم إلا الرحيلا
يا تقوى للنسوى زموا عن الحى الجولا
وللى البحرين في صبح غد ، حثوا الرعيلا -
حتى إذا كان الصباح رجل براق الى اليمامة لياسو جرحه ،
وينسى ما هو فيه من عذاب وألم . فهل ترى الأقدار ساعدته ؟ أم
أنها كانت تعد له من نجاتها ما أثار شجونه واستفز رجولته
وألهب حميته وهو العربي الصميم ؟
نعم إن الأقدار حاربتة وعدتته ، فانه ما كاد يستقر في اليمامة
حتى علم أن قومه في حرب ضروس مع طيء ، وخزاعة . فإنا
يسئل ؟ أيذهب ويحارب معهم حتى ينتصروا وهم هم الذين
عذبوه ومرضوا قلبه . ؟ أم يتركهم لأعدائهم يسومونهم سوء

أن ينتصر انتصاراً حاسماً وأن يثقت أعداءه ، وعزقهم شر
عزق ثم يرجع بجيسته ليلى ايتانفا يبعادتهما وسبهما ،
وهو يقول :

بالليل قومك عنك قد نكلوا يا خبطي يا بئس ما فعلوا
أفأسلوك وأمنوا هربا وتخطفتهم دونك السبل؟
أم كانت الجلى فما ثبتوا وعن الحرم لهولها ذهلوا؟
أهلوك لا ميل ولا كُشف عند اللقاء ، إذا هم نزلوا
إن يخذلوك فرب معترك عميت به النجيدات والحيل

هذه عجالة رأينا من الخير للأدب أن تنشرها للناس
لتكون ذكري طية للأستاذ الخالد ، ولتكون نواة صالحة ،
وقدوة حسنة لمن يود أن يكتب الشعر العربي الرصين
للمسرح المصري . رحم الله الفقيد وأسكنه مساكن الشهداء
والصالحين .

محمد السيد المريعي

المذاب يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ؟ إنه إن فعل هذا فقد
لحقه إمار ودكبه الذل ، وناهيك بما رعب العرب وذلهم ، على أنه مع
هذا وذاك لم ينس أن يتكلم ويعتد بقوته فيقول :

أما أن قومي جد فيهم من الحدتين شر مستطير
أناخت بينهم حرب عوان ضروس للزدي فيها زبير
وما أدري أيد كرفي لكثير إذا استمرت وطار لها زفير؟
وهل هو بان ذى صهبان ينس إذا عميت على القوم الأمور؟
وما إن ينتهي براق من قوله حتى يخبره خادمه بضيوف

يطلبونه ، وسرى الآن من أخلاق براق ما يدهشنا ، وما
يشير إعجابنا

الضيوف : نزلنا بأبي نصر سلام يا أبا نصر
دعوناك الى أمر فهل تصنى الى الأمر؟
بنو عمك قد جاروا ومدوا سبب الشر
وقد خانوك من قبل بحض البنى والقد
خالفنا وأيدنا عليهم واسع في النصر
تحالفك على من شأ

ت في بر وفي بحر

براق :

ذروني لست أترك آل قومي

وأرحل عن فتاني أو أسير

بهم ذلي إذا ما كنت فيهم

ولكن لي بهم شرف خطير

أأزل بينهم إن كان يسر

وأرحل إن ألم بهم عمير ؟

وفي إثر هذا القول الذي نجيب ظن القوم

يخرجون وهم يميزون غيظاً ويحترقون ألكا .

بل وفي لآره أيضاً يعلم براق بموت أخيه

وانكسار قومه ، وأسر أغلبهم وفيهم « ليلي »

فيظير عقله ، وينخلع قلبه ، ويسافر توا الى

قومه ويجمع شملهم وينظم عقدهم . ووشاء الله

ابن سحر

سياسة، حروب، مظامعة

بقلم
مصطفى الحناوي

عن وليمز وأرمسترونج « بتصرف »

تمت ١٢ قرشاً ، ويطلب من المطبعة المصرية بالأزهر تليفون ٥١٧٠٤

ومن مكتبة الهلال بالعجالة ، والمكتبة التجارية بشارع محمد علي